العراقية
المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

موقف الدولة العثمانية من الهجرات الصهيونية الدولية إلى فلسطين (١٨٩٧-١٩٠٩م)

م . د خالد احمد صبح الويس
الجامعة العراقية - كلية الآداب

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة :" موقف الدولة العثمانية من الهجرات الصهيونية الدولية إلى فلسطين بين عامي (١٨٩٧-١٩٠٩م)، وان من الحقائق المسلم بها أن القضية الفلسطينية هي القضية المحورية والأساسية للعالمين الإسلامي والعربي، ومنذ أن أصبحت البلاد العربية تحت الحكم العثماني ظلت أربعة قرون بعيدة عن السيطرة الاستعمارية الأوروبية، ولم يستطع الاستعمار الغربي الوصول إلى فلسطين إلا بعد ضعف الدولة العثمانية، ولذا فإن البحث سيلقي الضوء على الهجرات اليهودية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبالتحديد الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٧م و ١٩٠٩م، وكيف تحالفت الدول الاستعمارية الأوروبية مع الصهيونية العالمية لتدعيم وتمويل الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين؛ لغرس كيان استعماري استيطاني صهيوني يضعف الأمة الإسلامية والعربية، ويحقق المآرب الاستعمارية الدولية؛ مستغلين حالة الضعف في الدولة العثمانية في شتى المجالات، كما يدرس البحث موقف الدولة العثمانية منها.

Abstract

This research deals with the study of: "The position of the Ottoman state on the international Zionist immigration to Palestine between the years (1897-1909 AD). It is an acknowledged fact that the Palestinian issue is the central and fundamental issue for the Islamic and Arab worlds. Since the Arab countries fell under the Ottoman rule, they remained four centuries away from European colonial control. Western colonialism was not able to reach Palestine except after the weakness of the Ottoman state. Therefore, the research will shed light on the Jewish immigration at the end of the nineteenth century AD, specifically the period between the years 1897 AD and 1909 AD, and how the European colonial states allied with international Zionism to support and finance Jewish immigration to the land of Palestine; to plant a Zionist colonial settlement entity that weakens the Islamic and Arab nation, and achieves international colonial goals; exploiting the weakness of the Ottoman state in various fields. The research also studies the position of the Ottoman state towards it.

مقدمة

كانت الدراسات الأكاديمية قد اتجهت إلى دراسة العديد من الجوانب المهمة من تاريخ فلسطين, لاسيما في ما يخص اليهود ووجودهم فيها, ودورهم في تغيير الطّابع الديموغرافي فيها, وخاصة في القدس, وتعد الهجرة اليهودية من الموضوعات المهمة في تاريخ بلاد الشّام؛ كونها أسهمت في تردي الأوضاع السّياسية في المنطقة , اذ تعد القضية الفلسطينية هي القضية المحورية والأساسية للعالمين الإسلامي والعربي، ومنذ وقوع البلاد العربية تحت وطأة الحكم العثماني ظلت أربعة قرون بعيدة عن السيطرة الاستعمارية الأوروبية، ولم يستطع الاستعمار الغربي الوصول إلى فلسطين إلا بعد ضعف الدولة العثمانية. وعند ذلك فقط أمكن وضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ونحن لا ننكر أن البلاد العربية قد وصلت في آخر عهد الدولة العثمانية إلى درجة كبيرة من التراجع الحضاري والثقافي، وهذا الامر كان ينطبق على جميع أقاليم الدولة العثمانية بما فيها عاصمة الخلافة نفسها أي تركيا، وكان لمجيء عدة سلاطين على عرش الدولة العثمانية أثر كبير في المحاولات والجهود التي بذلوها لرفع شأن هذه الدولة، وإجراء الإصلاحات في كل ركن من أركانها، ولكن كل ذلك كان قد جاء متأخرًا بسبب انتشار الفساد في كل ركن من أركان الدولة ؛ لاسيما أن الدول الاستعمارية كانت على عكس ذلك كله، فقد أخذت بكل أسباب القوة.

لقد كانت الدول الاستعمارية جميعها تتطلع إلى الدولة العثمانية المحتضرة للانقضاض عليها، وتفتيتها واقتسام أملاكها, مستعملة في ذلك كل الوسائل المتاحة لها لتحطيمها والسيطرة على البلاد العربية، ولوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ في فلسطين.

أولا – موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني بين عامي (١٨٩٧-١٩٠١م):

انبري هرتزل في تنفيذ مشروعه الاستعماري الاستيطاني في فلسطين منذ عام ١٨٩٧م بتنفيذ فكرته في تأسيس الشركة اليهودية المسماة أصلًا ب "البنك اليهودي للاستعمار" كخطوة مرحلية وأولى نحو تحقيق حلم الدولة اليهودية المزعوم[١] بتوفير التمويل الصهيوني لامتلاك فلسطين وذلك من خلال الاتصال المباشر بكبار الممولين اليهود خاصة في أوروبا حيث أثرياء اليهود العالميين من الأسر اليهودية العريقة في مجال المال والاستثمار وعلى رأسها ". ك. بوزنانكي من بولونيا وسليجمان، واللورد روتشيلد في انكلترا وغيرهم من الرأسماليين الاستعماريين في أوربا وأمريكا مما يدل بوضوح على أن الحركة الصهيونية ليست حركة جماهيرية وإنما تعتبر حركة رأسمالية استعمارية[٢].ولكن أحلام هرتزل لتحقيق الدولة اليهودية المزعومة كانت تقتضي بالضرورة الاصطدام بالدولة العثمانية مباشرة، ومن ثم فقد اتجهت جهوده الدبلوماسية نحو السلطان العثماني وكذلك الاتصال بالدول التي لها علاقة مباشرة بالدولة العثمانية ولاسيما النمسا وألمانيا وروسيا والمجر وكذلك بريطانيا من أجل الحصول على الموافقة الدولية للمشروع الصهيوني المزمع تنفيذه على مراحل، وذلك مقابل تحقيق أغراض اقتصادية وسياسية، ولاسيما منع اليهود من الاشتراك في الحركات الثورية الأوروبية[٣].ورغم أن هرتزل لم ينجح في اتصالاته مع البابوية في روما، فقد أصدر الفاتيكان رسالة دورية يحتج فيها باسم المسيحية – على مشروع احتلال اليهود للأماكن المقدسة[٤]، إلا أنه نجح في استغلال التناقضات التنافسية بين الإمبراطوريات الاستعمارية التوسعية في أوروبا والتي كانت تقف ضد الحركات الثورية والأحزاب التحررية وكذلك وقفت ضدها الحركة الصهيونية في أوروبا وفي الأراضي الغربية من الدولة العثمانية.وقد طلب هرتزل في رسالته إلى قيصر ألمانيا مساعدته في أمرين الأول إقامة شركة يهودية تحت الحماية الألمانية تهتم بأمور الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والثاني تمثل في بذل مساعيه لإقناع السلطان عبد الحميد الثاني باستيطان اليهود في فلسطين[٥].وفي تلك الآونة كانت الهجرة اليهودية تصل إلى فلسطين وتعمل على شراء الأراضي في بعض المناطق الأردنية والفلسطينية، وذلك من خلال الأساليب اليهودية الملتوية والتي شكلت ضغطًا كبيرًا على الفلاحين العرب من خلال إقراض الفلاح الفلسطيني المال مقابل فائدة باهظة وغير معهودة من قبل ولكنه كان مضطرا للقبول بها من جراء ما يعانيه من وطأة الضرائب العثمانية على الممتلكات والأراضي الزراعية. وعندما لا يستطيع السداد تطرح الدولة ممتلكاته للمزاد العلني لسداد ديون الدولة والمرابين اليهود مما سهل مهمة الحركة اليهودية في ذلك الشأن، ومن ثم فقد تمثل الموقف العثماني تجاه تلك الأمور بأن أرسل السلطان عبد الحميد الثاني بعض أعضاء أمانة السر الخاصة به في قصر يلدز" لتولي حكم متصرفية القدس بدلًا من الموظفين الذين تدرجوا في سلك وظائف الإدارة العثمانية هناك[٦].وبالفعل تولى "توفيق بك" المرسل من قبل السلطان عبد الحميد حكم متصرفية القدس وكان قويًا وأمينًا وحازمًا في تطبيق القانون العثماني، مما ضيق الخناق على اليهود في مسألة شراء الأراضي في فلسطين والدليل على ذلك أن المنظمات الصهيونية المختصة بذلك الشأن اضطرت بالاتجاه شمالًا من فلسطين حيث كان المسؤولين الرسميين أقل صلابة من الموجودين في متصرفية القدس، وكانت في الأساس تابعة لولاية بيروت[٧].كما أن وجود دولة صهيونية استعمارية في فلسطين سيفيد أوروبا في تحقيق الأطماع الغربية التوسعية في الشرق العربي[٨].إلا أن جريدة المقتطف أشارت إلى معارضة الدولة العثمانية للهجرة اليهودية إلى فلسطين[٩]، ومن ثم فقد أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في حزيران ١٨٩٨م على أثر تلك الأحداث قوانين جديدة تمنع السماح لليهود بزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين إلا بداعي الزيارة الدينية فقط وتستوجب تلك الزيارة دفع رسوم دخول البلاد فلسطين، وألا تزيد مدة هذه الزيارة عن ثلاثين يومًا فقط ولابد من مغادرة البلاد قبل مرور هذه المدة[١٠].وقد لقيت هذه القوانين بالطبع معارضة من القنصليات الأجنبية حتى أن متصرف القدس أرسل للباب العالي يطلب منه تعليمات واضحة وصريحة ومحددة بدقة في ذلك الشأن، غير أنه تلقى الرد بعد شهرين من تاريخ إرساله وتحديدًا في ٢٥ اب ١٨٩٨م، والذي يفيد بالتنفيذ الصارم لهذه القوانين، وبالفعل فقد تم تنفيذها بقوة حتى أنه قد تم منع نائب القنصل البريطاني في أنطاكية من الدخول لفلسطين ما لم يقدم التعهد المطلوب باعتباره يهوديًا[١١].ومن ثم فقد عارض هرتزل أسلوب الهجرة بالتسلل بين صلابة وقوة وحزم الدولة العثمانية في ذلك الشأن والذي سيؤدي بالضرورة لطرد اليهود من فلسطين وكان الأفضل لديه السعي لوجود حماية دولية واعتراف رسمي بتلك الهجرة العلنية إلى فلسطين بصورة مؤقتة لحين يتم القضاء على الدولة العثمانية[١٢].

وقد أسفر انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في بال بسويسرا ١٨٩٨م عن قرارات هامة:

١- السعي لدى الدولة العثمانية تنفيذ قرارات المؤتمر الصهيوني الأول لتحقيق المشروع الصهيوني.

٢- إنشاء البنك اليهودي الاستعماري.

٣- تدعيم "الصهيونية الثقافية" من خلال تشجيع اللغة العبرية للمحافظة على وحدة القومية اليهودية.

٤- إطلاق يد هرتزل في التفاوض مع الدول الأوروبية لخدمة (المسألة اليهودية).

وبناء على القرار الأخير فقد بدأ هرتزل مساعيه مع ألمانيا نظرًا لعلاقتها الطيبة آنذاك مع الدولة العثمانية بسبب إخلائها لجزيرة كريت لصالح الأتراك.ورغم ذلك فقد كان من المتوقع أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لن يقبل بإنشاء دولة يهودية في فلسطين إلا في حالة واحدة وحيلة ماكرة تقتضي بإجراء مفاوضات مع الدولة العثمانية باعتبار أن المهاجرين اليهود سيكونون رعايا عثمانيين يخضعون مباشرة للدولة ويلتزمون الامتثال بقوانينها ونظمها، ليس باعتبارهم رعايا أوروبيين لأن هؤلاء ممنوعين من الإقامة في فلسطين بصورة دائمة، وكان يتم طردهم من قبل السلطات المحلية العثمانية في فلسطين إذا لم يقدموا تعهد بالعودة خلال ثلاثين يومًا منذ بداية الزيارة، وبالفعل فقد أوردت التقارير أن السفير البريطاني وقنصله في القدس قدما احتجاجات رسمية على هذه المعاملة، وكان متصرف القدس توفيق باشا" أكد بدوره على تطبيق القانون العثماني في ذلك الشأن[١٣].ومن ثم فقد أكدت الخارجية البريطانية على أن منع اليهود من الدخول إلى فلسطين مخالف للاتفاقيات الدولية ومعارضة لحقوق الإنسان، وأن على الدولة العثمانية إعادة النظر في ذلك الأمر[١٤].وكانت ألمانيا أكثر الدول الأوروبية استعدادًا لتنفيذ المخطط الصهيوني فقد زار الإمبراطور الألماني غليوم الثاني تركيا رسميًا مع مقالات ومباحثات دبلوماسية استمرت لأربع سنوات تقريبًا بين برلين والآستانة تمهيدًا لهذه الزيارة من أجل حصول الإمبراطور الألماني بالموافقة على طريق برلين – بيزنطة – بغداد، وقد نجح هرتزل في مقابلة الإمبراطور الألماني ١٨ تشرين الثاني ١٨٩٨م لحثه على إقناع الدولة العثمانية بإقامة وطن لليهود في فلسطين مقابل خدمات تقدمها هذه الدولة لألمانية بصفتها "حامية الدولة اليهودية" إلا أن جهوده لم تفلح في ذلك الشأن وعند زيارة غليوم الثاني للقدس فقد استقبله اليهود هناك استقبالًا حافلًا ورفعوا له كتابًا يتضمن إنشاء دولة لهم في فلسطين وإظهار مدى فوائده لألمانيا والدولة العثمانية وكان رد غليوم الثاني بأن هذه الأمر يحتاج لدراسة مطولة، ولم يعطِ غليوم الثاني وعدًا لليهود بقيام دولة لهم في فلسطين وأيضًا لم يشر لجعل فلسطين إقليمًا يهوديًا يتمتع باستقلال ذاتي في نطاق الإمبراطورية العثمانية ومع ذلك فقد أيد فقط الجهود التي يبذلها اليهود في مجال الزراعة بفلسطين من أجل إنعاش الدولة العثمانية وتقدمها شريطة احترام السيادة العثمانية وقوانينها، حتى أن هرتزل خرج من لقائه مع غليوم الثاني منزعجًا قائلًا "لم يقل نعم ولا قال لا" يبدو أن أمور كثيرة تحدث خلف الستارة. وفعلًا كانت هناك أمور أهم بالنسبة لغليوم الثاني من أمر اليهود فلم يستطيع أن يكلم السلطان العثماني آنذاك في ذلك الأمر إلا قليلًا، فقد كان السلطان حريصًا على ألا تصبح فلسطين لبنان آخر، وألا تقوم ألمانيا في فلسطين بنفس دور فرنسا في لبنان، وهذا ما أكدته مراسلات السلطان عبد الحميد الثاني في هذا الشأن مع زعماء أوروبا وخاصة ألمانيا وإسبانيا[١٥]كما أن الألمان كانوا يخشون أن تدخلوا تحقيقًا لمزاعم اليهود في فلسطين من إثارة مخاوف انكلترا وفرنسا وروسيا[١٦]ولقد كان السلطان مدركًا لأهداف ألمانيا بغض النظر عن سياستهم الودية وتجنبهم الدخول في المسألة اليهودية بالقدس إلا أنه كان دائمًا ما يثني على الألمان قائلًا: ((أن الألمان يفعلون أقصى ما يمكن عمله من الخير؛ بينما تقوم بقية أوروبا بإيذائي بأقصى ما تستطيع)) [١٧]، وكان السلطان عبدالحميد الثاني من الذكاء بمكان في حرصه على صداقة الألمان حيث أعطاهم امتياز خط حديد بغداد وأيضًا استخدم قوة درغولتز مدربًا من ألمانيا للجيش العثماني مما استوجب بالضرورة شراء الدولة العثمانية للأسلحة والمعدات الحربية الألمانية وقد كان السلطان يظهر لأوروبا صداقة ألمانيا كحليف ضد انكلترا وفرنسا، ومن ثم فإن إحجام الألمان عن مساعدة اليهود كان أمرًا متطرفًا في ذلك الوقت[١٨]وقد حاول هرتزل مواصلًا جهوده هذه المرة مع الوزير اليهودي الأمريكي في الآستانة من أجل الحصول من الحكومة العثمانية على بعض الامتيازات الخاصة لليهود في آسيا الصغرى إلا أنه فشل مرة أخرى في ذلك الأمر[١٩].وللحقيقة فإن مذكرات هرتزل تقر بأن هرتزل نفسه وبخط يده كان يعترف بأن الدولة العثمانية لم تكن تدرك حقيقة خطورة الحركة الصهيونية ونشاطها المضطرد في فلسطين وذلك بسبب أن خطته كانت غير مفهومة وغير واضحة ولا صريحة ... "ولهذا بأنها مازالت مسموحًا بما لا يقف في وجهها أحد، لقد سمحت لي الحكومة التركية بأن أكمل رحلتي ... ولو كان رجال الحكومة التركية على شيء من بعد النظر السياسي لكانوا وضعوا نهاية لأعمالي هناك ... منذ وصولي إلى القسطنطينية ... كان عليهم أن يطردوني من البلاد"[٢٠].ولكن بعد فترة غادر هرتزل فلسطين سرًا بعد مقابلة الإمبراطور الألماني وذلك لأنه خشي على نفسه من الاغتيال من قبل السلطات العثمانية[٢١]، مما يؤكد بأنه كان يتوجس خيفة من قبلهم وأنهم بدأوا يتشككون في أمره بحيث لم يكن صديقًا حقيقيًا للإمبراطورية العثمانية.وكان السلطان عبد الحميد لا يرى شأنًا كبيرًا للحركة الصهيونية في داخل إمبراطوريته المترامية الأطراف، خصوصًا أنها كانت في بدايتها ولم تكن لتلق نجاحًا ولا رواجًا حتى في الأوساط اليهودية نفسها بصورة كبيرة في بادئ الأمر ولو تدخلت الدول الأوروبية الاستعمارية وتحالفها مع الصهيونية لما استطاعت أن تدخل لدوائر الحكومة الرسمية ومن ثم فقد كانت هناك رسائل بين السلطان العثماني والدول الأوربية ذات الصلة في هذا الشأن خاصة مع روسيا وبلجيكا وغيرها، وربما على إثرها فقد باءت جهود هرتزل الصهيونية في كسب السياسة الألمانية لصالحها بالفشل، فاتجه هرتزل بدوره إلى الدول الوحيدة آنذاك التي كانت تدافع عن هجرة اليهود البريطانيين إلى فلسطين ليتفاوض مباشرة مع وزير المستعمرات البريطانية جوزيف تشبرلن بمشروع جديد يهدف إلى إضعاف الدولة العثمانية من ناحية ومواجهة النفوذ

الألماني فيها وذلك بإسكان اليهود في شبه جزيرة سيناء لإقامة دولة يهودية تحت الوصاية البريطانية بما يؤدي ذلك إلى زرع دولة غريبة في قلب البلاد العربية وعزل مصر عن غرب آسيا[٢٢].كان هرتزل يمتلك إصرارًا وذكاءً قويان، كانت دوافعه لتحقيق أهدافه لإنشاء وطنه المزعوم قوية جدًا لدرجة أنه كان مستمرًا ومستميتًا في محاولاته للحصول على الدعم اللازم من الدولة القوية ذات النفوذ والعلاقات الاستراتيجية مع الدولة العثمانية آنذاك، وإن فشل في جولة مع دولة ما من أجل الحصول على دعمها، حاول مع دولة أخرى مع استمرار علاقاته مع الدول التي لم يحصل منها على تأييد لوقت تحقيق منها الفرصة ليخوض معها الأمر مجددًا وهكذا دواليك، ففي عام ١٨٩٩م حاول مقابلة قيصر روسيا مرسلًا إليه برسائله التي تفيد بمعارضته للثوريين الاشتراكيين الروس، وعمله على إبعاد الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية[٢٣]، مع إعلامه بأن الأماكن المقدسة في فلسطين عند نشأة وطنه المزعوم ستكون خارج نطاق الحكم باتفاق جميع القوى.وعندما فشل هرتزل في مقابلة القيصر الروسي سعى من جديد متجهًا هذه المرة نحو الولايات المتحدة الأمريكية ليجيد في الصهيونية الأمريكية تعاطفًا مع مشروعه الاستيطاني اليهودي في فلسطين، وعلى رأسهم السفير الأمريكي "ستراوس" والذي سعى جاهدًا لدى الدولة العثمانية من أجل إنجاح المشروع الصهيوني وذلك بصفته الوزير الأمريكي اليهودي المعتمد في استانبول، وقد طلب منه هرتزل أن يوسط أرتين أفندي الأرمني الموظف في الباب العالي، لكن ستراوس رد قائلًا: "لا أرتين ولا غيره يؤثر كثيرًا أو قليلًا على السلطات وأفهمه أن السلطان عبد الحميد رجل حاذق داهية، وأنه هو الذي يحكم نفسه بنفسه وليس لإنسان عليه نفوذ"[٢٤]. وقد اتجه عندئذ هرتزل لاستغلال المؤتمرات الدولية، حيث سافر إلى لاهاي لحضور "مؤتمر السلام" على أمل الحصول على دعم المؤتمرين للضغط على الدولة العثمانية لتحقيق أهدافه. ولكن للأسف فقد حذره بلوخ مستشار روسيا معترضًا على بعض جوانب مشروعه فتركه ليقابل نوري بك ممثل الدولة العثمانية في المؤتمر محاولًا رشوته للتوسط لدى السلطان العثماني لقبول اليهود في فلسطين، إلا أن ابتسامة نوري بك الساخرة قد أوحت لهرتزل بأن ما يقوله ليس إلا مجرد حلم غير قابل للتحقق[٢٥].وقد ذكره نوري بك بالموقف الرسمي التركي من الثابت والمنقذ من خلال متصرف القدس التركي بمنع بيع الأراضي للمهاجرين اليهود مع رفض بناء منازل لهم، وقد أشار عليه نوري بك بالإقامة تحت رعاية الدولة العثمانية في أماكن أخرى كحلب أو ضواحي بيروت إلا أن هرتزل رفض ذلك العرض.وكان نفوذ الدولة العثمانية على اليهود المهاجرين قويًا من خلال تطبيق متصرف القدس للقوانين بحذافيرها، ففي ذلك الوقت كان يزور القدس ما يقرب من عشرين ألف من الحجاج الروس، وبعد انقضاء مدة حجهم يتم طردهم بالقوة، ولكن كعادة اليهود يحاولون التحايل على القوانين بالرشوة والمال ومن ثم فقد أنشأوا مستعمرات كبيرة هناك، غير أن السلطات التركية كانت تعاملهم إذا تم ضبطهم بقسوة مفرطة، وليس أدل على ذلك من كثرة اعتراضات السفير البريطاني لدى الدولة العثمانية أوكنر إلى قصر يلدز وإلى وزارة الشئون الخارجية التركية على الإجراءات المتخذة بحق اليهود المهاجرين وخاصة البريطانيين منهم.وقد انعقد المؤتمر الصهيوني الثالث مرة أخرى في بال في الفترة من ١٥ إلى ١٨ اب ١٨٩٩م، وقد انضمت إليه جمعية أحباء صهيون رسميًا وقد حدد هرتزل أهدافه في ذلك العام منصبة في الأساس دبلوماسيًا وسياسيًا على الأوساط العثمانية في محاولة مستميتة منه لتوحيد طريق تحقيق أهدافه وأمانيه الصهيونية لإقناع السلطان العثماني مباشرة بمشروعه الصهيوني، وبالفعل فقبل انعقاد هذا المؤتمر بيومين كان هرتزل قد أرسل رسالته للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني مستغلًا تدهور الأوضاع المالية للدولة العثمانية[٢٦].وتأييد الدول الكبرى لخلق دولة يهودية في فلسطين غير أن السلطان العثماني الذي يرفض هذا المبدأ من أساس لم يجبه بل لم يرد أساسًا على رسالته بهذا الخصوص[٢٧]، وفي هذا المؤتمر أيضًا وأما موقف السلطان عبد الحميد الثاني الثابت في ذلك الشأن فقد كان هناك اقتراح من قبل بتحويل فكرة استيطان فلسطين إلى استيطان دائم إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض من أعضاء المؤتمر خاصة من هرتزل.ومن ثم فقد استمرت المحاولات اليهودية بأساليب غير قانونية للاستيطان في فلسطين من خلال السماسرة اليهود[٢٨]، وقد حذرت صحف الآستانة من ذلك الأمر وقد رفض هرتزل نفسه ذلك الأسلوب اليهودي لأنه سيقابل بقوة وصرامة تنفيذه القوانين العثمانية في ذلك الشأن، ومن ثم فقد واصل جهوده للحصول على تأييد دولي رسمي، ولكن هذه المرة من قبل ألمانيا الذي قيصرها أبدى تعاطفًا في نهاية الأمر إلا أنه لم يقابل هرتزل ولم يحصل من مدير البنك الألماني على إنشاء شركة للأراضي اليهودية تحت الحماية الألمانية[٢٩].ليأتي عام ١٩٠٠م ليحمل تطورات في السياسة الدولية، كان أهمها انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع ١٣ إلى ١٦ اب ١٩٠٠م لكن هذه المرة في العاصمة البريطانية نفسها بدلًا من سويسرا. ففي ظل استمرار تدفق الهجرة اليهودية واستيلائهم بالطرق الغير شرعية على بعض الأراضي الفلسطينية من خلال السماسرة اليهود وعلى رأسهم "يشوعا خانكين" والذي يعد بمثابة السمسار الأول الذي أطلق المفاوضات لشراء الأراضي الفلسطينية للقادمين اليهود[٣٠].مما أدى لنشوء حملة احتجاجية نجم عنها تقديم عرائض جماعية عربية فلسطينية للسلطات التركية ضد شراء المهاجرين اليهود للأراضي الزراعية.وفي ظل الوعود الصهيونية الزائفة من قبل الزعيم الصهيوني ماكس" "نوردو " للدولة العثمانية فإن استصلاح أراضي فلسطين واستثمارها زراعيًا وصناعيًا من قبل اليهود دخلًا سنويًا ماليًا كبيرًا للأتراك يزيد كلما زادت عدد المستوطنات اليهودية[٣١].

كان التحول في السياسة البريطانية تجاه تعاطفها مع اليهود سببه الأساسي التقارب الألماني – العثماني خاصة بعد اتجاه الألمان لتنفيذ مشروع سكة حديد الحجاز وما سيترتب عليه من توسيع النفوذ الألماني في أراضي الدولة العثمانية لمرور هذا الخط الحديدي بالحجاز واليمن والبحر الأحمر وقد يمتد أيضًا لبلاد الشام ومن ثم فقد عارضت وجاء رد انكلترا عرقلة هذا المشروع خاصة بعد أن أيدت ألمانيا البوير ضد بريطانيا في حرب البوير.ومن ثم فقد احتضنت انكلترا الجمعيات الصهيونية ليتزايد عددها من ١٦ إلى ٣٩ جمعية في انكلترا وكل أوروبا تحت زعامة مركز أحباء صهيون[٣٢].وعلى حين استمرار جهود هرتزل بالتواصل مع القوى الاستعمارية لممارسة ضغطها على الحكومة العثمانية، ولاسيما النجاح في مقابلة رئيس الحكومة النمساوية مرتين متتاليتين إلا أن الفشل في الحصول على نتائجه المرجوة كان مرة أخرى حليفه، وذلك لأن موقف السلطان عبد الحميد الثاني كان ثابتًا وحازمًا في ذلك الشأن من الهجرة اليهودية لفلسطين، فمنذ عام ١٨٨٢م والقوانين العثمانية تحد من هجرة اليهود لفلسطين وتمنع إقامتهم بها، وقد تم تجديد هذه القوانين مرات عديدة، ففي عام ١٨٨٧م كان هناك تأمين خمسين ليرة تركية، وتحديد الإقامة ب٣١ يوم فقط للزوار اليهود لفلسطين والقدس.وفي عام ١٩٠٠م تم تعديل وتجديد هذه القوانين بإلغاء السلطات العثمانية لقانون التأمين لـ٥٠ ليرة السابق ذكره، والسماح لكل يهودي أجنبي يزور فلسطين بالإقامة فيها لمدة ٣ أشهر مقابل تسليم جواز سفره، وإعطائه بدلًا منه جواز أحمر خاصًا مقابل تعريفة رسمية هي قرش واحد، وأيضًا فقد ألزم القانون العثماني في هذا الشأن جميع اليهود؛ سواء من رعايا الدولة العثمانية، أو خارجها الزائرين لفلسطين أن يكونوا مزودين بتذكرة، أو جواز سفر في بيروت، أو القدس للموظف المختص، ومن ثم فيعطي على أثر ذلك الجواز الأحمر سالف الذكر مقابل قرش واحد[٣٣].وكان مما أجبر السلطات العثمانية على إصدار تلك القوانين الجديدة أن المتصرفين للقدس الثلاثة الذين خلفوا توفيق بك لم يكونوا مثله من الأمانة والإخلاص والكفاءة.وبالفعل فقد تم تنفيذ هذه القوانين سالفة الذكر بداية من عام ١٩٠١م، وذلك أيضًا لأن الطرق الملتوية لليهود خاصة الروس كانت مستمرة حيث أنهم كانوا يسافرون للمستعمرات البريطانية ويتزودون هناك بجنسيات وجوازات سفر بريطانية تسمح لهم السفر لفلسطين، كانت لا تفرق بين رعايا الدول الأجنبية وبخاصة البريطانية في المعاملة مهما اختلفت الجنسيات والأديان فإن بريطانيا كانت مقتنعة بمثل هذه القوانين نظرًا للأساليب الملتوية التي أتبعها اليهود للوصول والتمسك بأرض فلسطين. وخاصة عندما أسبغت بريطانيا حمايتها للمهاجرين اليهود الروس[٣٤].

ثانيًا– مواجهة الدولة العثمانية للنشاط الصهيوني بين عامي (١٩٠١ – ١٩٠٥م):

كانت وباختصار تلك جهود هرتزل في جولته الجديدة ما بين العامين (١٩٠١ –١٩٠٣م) من أجل تحقيق حلمه المزعوم لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وعند تحليل تلك الخطوات الهامة وباختصار أيضًا نجد مدى قوة السلطان عبد الحميد الثاني وثباته على موقفه في رفض قيام دولة يهودية في فلسطين مهما كان الثمن الذي ستدفعه الدولة العثمانية ويدفعه هو شخصيًا في ظل ظروف بالغة الصعوبة داخليًا وخارجيًا للإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت.فلقد كان من أهم ما تمخض عنه المؤتمر الصهيوني الخامس في بال بسويسرا في الفترة من ١٩ إلى ٢٠ كانون الاول عام ١٩٠١م على صعيد مستقبل فلسطين هو إنشاء الصندوق القومي اليهودي، وذلك من أجل شراء الأراضي في فلسطين وجعلها هذه المرة ملكية جماعية وليست خاصة لأفراد من اليهود كما كان سابقًا، مع الاشتراط بتشغيل العمالة اليهودية فقط وعدم تشغيل غيرهم في هذه الأراضي، وبذلك تم تهويد فلسطين رويدًا رويدًا وعلى قدم وساق، وللأسف فقد تمكن هذا الصندوق بطريقة أو بأخرى من شراء أراضي واسعة في سهل ووادي الأردن، وكذلك تم شراء ما يقرب من ١٥ ألف دونم من أراضي يافا والجليل في ١٩٠٥م[٣٥]، وذلك تمهيدًا لكي تكون فلسطين وسوريا وشبه جزيرة سيناء ومناطق أخرى من تركيا الآسيوية ملكًا شرعيًا مستقبليًا لليهود[٣٦].ولكي ندرك خطورة هذا الصندوق في شراء الأراضي الجماعية فلابد أن تعلم أن هناك تقرير ورد من حيفا للأستانة بأن ١٥ يهوديًا اشتروا من زوجة رشيد باشا والي سوريا ضيعة تقع بين حيفا مستعمرة زمارين اليهودية الكبرى، وكذلك فلقد اشترى روتشيلد من خلال مبعوثة منها أيضًا ضيعة أخرى بقيمة ٢٠٠ قطعة ذهبية[٣٧]، حتى وصلت الجراءة اليهودية بأن أرسلت المنظمة الصهيونية مبعوثها إسرائيل زنغويل من لندره إلى الآستانة للمساومة هذه المرة في شراء القدس الشريف[٣٨]. وكذلك حاول هرتزل من خلال أرمينوس الجاسوس والمستشرق اليهودي ذو العلاقة الطيبة بالباب العالي مقابلة السلطان العثماني، فقد تكللت جهود هرتزل هذه المرة بالنجاح وقبل مقابلته للسلطان حذره فامبري قائلًا له: "إياك أن تحدث السلطان عبد الحميد الثاني عن الصهيونية أنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة؛ غير أن مكر وخبث ودهاء هرتزل كان بمكان فقد كان يتحدث في مفاوضات عمومًا من المسؤولين العثمانيين من قبل ومن ثم فالسلطان العثماني على أساس أن اليهود هم الحلفاء الطيبون للمسلمين ضد النصارى، ويتحدث مع الآخرين بالعكس، وعلى كلًا فقد قابل السلطان عبد الحميد هرتزل في ١٨ أيار ١٩٠١م بصفته شخصًا يهوديًا من الذين يقدمون المشاريع لسد ديون الدولة العثمانية[٣٩]، وذلك بعد ست محاولات من قبل هرتزل من أجل هذا اللقاء. وعرض هرتزل مسكنة اليهود رعايا الدولة العثمانية السلطان العظيم الذين تمنون أن يكونوا تحت

لوائه في فلسطين مقابل الخدمات المالية لإصلاح الاقتصاد العثماني المتدهور وتصفية الديون المقدر بمليون ونصف المليون جنيه، مع التوسط لإيقاف مجلاته صحف تركيا الفتاة في أوربا.لكن السلطان عبد الحميد الثاني بادره بغضب كبير قائلًا: "إننا نظن بأن بني قومكم يعيشون في الممالك المحروسة الشاهانية بعدالة ورفاه وأمن؛ كما أنكم تعاملون نفس المعاملة الحسنة التي يعامل بها كافة تبعتنا دون تفريق أو تمييز ويعيشون في أمن. فهل لكم شكاية ما أو هنالك معاملة غير عادلة ولا نعرفها نحن؟ " فأجابه الحاخام موسى ليفي الذي كان مرافق لهرتزل في هذه المقابلة بخوف ورجاء قائلًا: "استغفر الله يا سيدنا بفضل ظل شاهاتكم نعيش بكل الرخاء حاشا لا توجد لدينا شكاية ما، إننا نسترحم فقط جعل قومنا العائش مشتتين فوق الأرض صاحب وطن في ظل شاهاناتكم ليقوموا هناك بفرائض الشكر والدعاء لحياة سيدنا العظيم طول بقاء هذه الدنيا".فرد السلطان بانزعاج: لا يمكن أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن لجماعاتكم"، إن بلادنا التي حصلنا على كل شيء منها بدماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر واحد منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها[٤٠]، واستطرد السلطان قائلًا: " إني أحب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، ولكن إقامة دولة يهودية في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظماء فلا..." [٤١].وكان ذلك القول الفصل في ذلك الشأن من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كافيًا ليتحول هرتزل لطرق أخرى ملتوية سواء داخل الآستانة مع بعض البطانة الفاسدة أو الصالحة أو الدول الاستعمارية الكبرى آنذاك ولاسيما بريطانيا، أما عن محاولته الأولى داخل الآستانة في مقابلة كلًا من إبراهيم بك وعزت بك الذين لخصوا له الأمر في شروط تعجيزية والتي قبلها هرتزل مرحليًا بعد ذلك في رسالته للسلطان العثماني ١٧ حزيران ١٩٠١م قائلًا أن المهاجرين اليهود الذين سوف تستقدمهم سيصبحون رأسًا رعايا أتراك خاضعين للخدمة العسكرية تحت راية جلالة السلطان" ولكنه لم يتلق جوابًا من السلطان أو رجاله على رسالته تلك[٤٢]، رغم موافقة هرتزل على تخلي اليهود هذه المدة عن جنسيتهم الأصلية من البلاد التي سيقدمون منها تمامًا.ومن ثم فقد اتجه إلى بريطانيا من خلال الاتصال بسيسيل رودس وهو أحد رجال الحركة الاستعمارية البريطانية لإقناع الدولة البريطانية بمشروعه إلا أن موت سيسيل رودس المفاجئ قد حطم أمانيه في هذا الشأن، مارس/ اذار عام ١٩٠٢م ليعود بغرض جديد للآستانة، والموافقة على إنشاء شركة عثمانية – يهودية لاستثمار المعادن المختلفة لسد العجز المالي للدولة العثمانية غير أنه تراجع عن هذه الموافقة لعدم قبول العثمانيين لإقامة اليهود في فلسطين ولتقريرها وحدة أماكن استقرارهم سواء في العراق أو آسيا الصغرى.ليعود مرة أخرى لأوروبا لمتابعة جمع الأموال من الرأسمالية اليهودية ليرفض أحد كبارها مشروعه لإقامة الدولة اليهودية فلسطين ويعرض عليه آخر تنفيذ مشروعه في روسيا بدلًا من فلسطين وأمام مجلس مديري الصندوق الاستعمار اليهودي في ١٧ اذار ١٩٠٢م عرض هرتزل موقف السلطان العثماني المتشدد والثابت حيال عدم السماح بإقامة دولة يهودية في فلسطين مع إقناعه لهم بأن المال هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الحلم المزعوم في ظل الظروف المالية الصعبة التي تمر بها الدولة العثمانية آنذاك.ومن ثم فقد كتب هرتزل للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني يغريه بالمال اليهودي[٤٣]، ولكن السلطان العثماني رفض ذلك الإغراء ليقدم هرتزل عرضه الجديد بالقضاء على الحركة الثورية بين الشبان الأتراك وكبت المفاهيم الحديثة للنشء الجديد، وذلك عن طريق تأسيس جامعة يهودية في القدس الشريف ليتلقى شباب تركيا تعليماتهم منها بدلًا من أوربا بأفكارها السياسية الحديثة والممتزجة بروح الحرية والديموقراطية ليقوم وايزمان بعد ذلك عام ١٩٠٢م بنشر كراسًا عن فكرة هذه الجامعة ولكنه يعترف بأنه لم يحصل على فرمان عثماني بها إلا بعد نهاية حكم عبد الحميد الثاني بسنوات عديدة[٤٤].وذهابًا وعودة لاستانبول والآستانة لم يحصل هرتزل على مراده لأن العثمانيين كانوا في حاجة إلى المال ولكن ليس على حساب إقامة دولة يهودية في فلسطين، فلجأ مؤخرًا هرتزل لبريطانيا ففي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٠٢م قابل هرتزل تشمبرلن وزير المستعمرات البريطانية ليطلب منه قبرص، العريش، سيناء، واجتمع أيضًا في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٢م بوزير خارجية بريطانيا لإقناعه بمشروع العريش وصحراء سيناء لكن كل هذه الجهود باءت بالفشل الذريع مرة أخرى، وعند مقابلة هرتزل لتشمبرلن أخبره الأخير بأن انكلترا قد اختارت لليهود منطقة أخرى غير فلسطين في قارة أفريقيا أوغندا ذات الأرض الخصبة المتسعة، لكن الأول أجابه بأن فلسطين يجب أن تكون هي قاعدتنا[٤٥]، وأيضًا فشلت المفاوضات بين هرتزل واللورد كرومر وبطرس غالي على أن تكون سيناء هي البديل عن فلسطين وذلك بإبلاغ اللورد كرومر لـ "جولد سميد" رسميًا في منتصف أيار ١٩٠٣م برفض الحكومة المصرية نهائيًا للمشروع[٤٦].ومن ثم فقد عاود الاتصال والمراسلة للسلطان العثماني والصدر الأعظم وكبار رجال الدولة العثمانية يغريهم بالمال وسداد ديون الدولة التركية مقابل تحقيق حلم الدولة اليهودية في فلسطين، وفي بعض أجزاء منها، وبالتوازي مع هذه المراسلات التي باءت بالفشل أيضًا فقد استمرت الرأسمالية اليهودية في شراء بعض أملاك كبار أعيان الشام ولاسيما شراء أملاك اللبناني "الياس سرسق" وطرد الفلاحين العرب منها وإحلال اليهود مكانهم.

ثالثا: النشاط الصهيوني بين عامي (١٩٠٣ – ١٩٠٤م):

كانت أهم مظاهر نشاط المركز الصهيوني عام ١٩٠٣م يتمثل في عقده لمؤتمرين في أن واحد في مكانين مختلفين الأول هو عقد المؤتمر الطبيعي

في بال بسويسرا في الفترة ٢٨ –٢٣ اب ١٩٠٣م والثاني وفي تطور خطير ومغامرة جريئة تقرر عقده بصورة سرية تامة في فلسطين وتحديدًا في مستعمرة (زخرون يعقوب) وكان يهدف لتوحيد جهود اليهود داخل فلسطين مع مقاومة القوانين العثمانية وتسهيل الهجرة اليهودية إليها، ولكن السلطات العثمانية لاحقت المؤتمرين وطردت بعض اليهود تلبية للنداءات العربية وتنامت كراهية المسلمين والمسيحيين لليهود بصورة كبيرة آنذاك[٤٧]؛ غير أن أهم الأهداف المعلنة في المؤتمرين تثبت فكرة أن فلسطين ستكون دولة قومية لليهود"، وقد أعلن هرتزل أمام ممثلي يهود العالم بأثره أن بريطانيا وحدها في العالم بُره هي الدولة التي اعترفت باليهود كأمة قائمة بنفسها ومنفصلة عن غيرها، وأن اليهود جديرون بأن يكون لهم وطن ودولة[٤٨].ورغم قوة وصرامة القوانين العثمانية للهجرة اليهودية، إلا أن خلل الإدارة العثمانية خاصة ببلاد الشام والأراضي الفلسطينية جعلها تتدفق بصورة كبيرة عام ١٩٠٣م خاصة من روسيا وبولندا ورومانيا[٤٩]. واتسعت المستوطنات اليهودية بفلسطين والشام، واتجهت نحو استقلالها الاقتصادي بطرد الفلاحين والعمال العرب منها وإحلال المستوطنين اليهود مكانهم تمهيدًا للاستقلال السياسي بعد ذلك[٥٠]واستمرت جهود هرتزل لكسب أصدقاء جدد للمنظمة الصهيونية، وإضافة دعم جديد لتحقيق حلم الدولة الفلسطينية المزعومة بفلسطين ومن ثم فقد هاجر هذه المرة إلى إيطاليا لمقابلة ملكها من ناحية وللحصول على تأييد الكرسي البابوي من ناحية أخرى.وأما عن لقاء الأول فلقد أخبر هرتزل يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٠٤م قائلا "استعمار فلسطين ... ستكون لكم ويجب أن تكون؛ المسألة فقط تحتاج إلى وقت، انتظروا حتى يصبح عددكم هناك نصف مليون"، وعندما أبدى هرتزل تذمره من الموقف العثماني المتشدد في ذلك الشأن فأجابه الملك "كل شيء يمكن أن يكون بالبخشيش (الرشوة)"[٥١]. غير أن هرتزل كان يدرك في قرارة نفسه بأن ذلك الأمر يمكن أن يستثمر على مستوى الأفراد وليس على مستوى السلطان عبد الحميد الثاني ووزرائه، ومن ثم فقد عرض هرتزل على الملك مشروعًا مرحليًا لاحتلال واستعمار فلسطين وهو إمكانية استعمار طرابلس الغرب، ولو بتحقيق الحصول على امتيازات ذات طابع اقتصادي وقانوني بشكل يضمن المصالح الإيطالية ضد أية دولة أخرى تستهدف التوسع[٥٢]، وحينما تمت معارضة ذلك الأمر أيضًا من جانب الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني كان الرد الإيطالي متمثلًا في السماح بانتشار ورعاية المحافل الماسونية في الولايات العثمانية، وكان من أبرزها (سلانيك) وذلك بهدف إنهاك الدولة العثمانية والعمل على القضاء على حكم السلطان العثماني آنذاك.وأما عن مقابلة بابا الفاتيكان بيوس العاشر فكانت في ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٤م، ولكنه أجاب هرتزل قائلًا "لا نستطيع أن نقبل بهذه الحركة... لا نقدر أن نمنع اليهود من الذهاب إلى القدس ولكن لن نرضى به رسميًا أبدا" وفي حقيقة الأمر، فإن ذلك الرفض كان لأسباب دينية مسيحية لتناقضها مع التعاليم اليهودية. وإن كان البابا في حقيقة الأمر يريد القدس تحت السيادة المسيحية لا العثمانية ولا اليهودية[٥٣]، ومن ثم فقد عاود هرتزل ليقابل وزير الخارجية الإيطالي ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٤ (تيفوني) الذي وعده بالتأييد الإيطالي ومراسلة سفير إيطاليا بالآستانة لبذل مساعيه لدى السلطان العثماني.فقدم له هرتزل مذكرة في ٤ شباط ١٩٠٤م شرح فيها هدف الصهيونية بوضوح وهو تأسيس وطن شرعي للشعب اليهودي مع ذكر أسماء الدول التي ناصرت الفكرة وهي روسيا، انكلترا، ألمانيا والنمسا، لكن الدولة العثمانية وقفت حائلًا ضد تحقيق هذا المشروع.وعاد هرتزل يطالب إيطاليا التوسط لدى الباب العالي للحصول هذه المرة على حق امتياز عكا مقابل تعويضًا ماليًا للخزينة العثمانية قدرها مائة ألف ليرة تركية، ثم طلب في النهاية توسط الملك الإيطالي نفسه ليراسل السلطان العثماني للتوصية باستعمار فلسطين لليهود، ولكن خلاصة الأمر تمثلت في الموقف القوي للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني قائلًا لوسطاء هرتزل "انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع. إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من هذه الأرض، فهي ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بما بينهم. إذا مزقت إمبراطوريتي فهم يستطيعون آنذاك بأن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولًا في جثتنا وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة"[٥٤].ومن الغريب أن بعض المصادر الصهيونية تذكر أن علي نوري بك في فيينا قد عرض على هرتزل مشروعًا لتحقيق حلمه المزعوم ونسف قصر يلدز والقبض على السلطان عبد الحميد الثاني أو عند هربه تكون هناك حكومة مؤقتة تعطي الموافقة على استيطان اليهود في فلسطين، لكن خشي هرتزل على المذبحة التي قد تحدث لليهود إذا فشل مشروعه وجعله يتراجع[٥٥].

رابعا: موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني – الدولي ١٩٠٥–١٩٠٦م:

بعد موت هرتزل انعقد المؤتمر الصهيوني السابع في ٢٧ حزيران ١٩٠٥م في بال برئاسة (ماكس نوردو) الذي أكد على ضرورة التعاون مع الدولة العثمانية لإقامة وطن قومي في فلسطين، وذلك خوفًا من قيام يقظة عربية لاضطهاد مشروعهم المنتظر، كما أسفر المؤتمر عن أهم قراراته متمثلة في رفض المشروع البريطاني في أوغندا، وأي مشروع مستقبلًا لا تكون فيه فلسطين هي الوطن القومي لليهود، مع وضع تعريف دقيق للصهيوني بأنه "كل يهودي يوافق على برنامج بال"[٥٦].وإزاء ثبات الحكومة العثمانية على موقفها من الهجرة الصهيونية لفلسطين، فقد انقسم أعضاء المنظمة

الصهيونية في مؤتمرهم السابع في بال ١٩٠٥ م ما بين مؤيد ومعارض للسياسة الهرتزلية بضرورة الحصول على ضمانات سياسية لبدأ النشاط الاستيطاني الصهيوني العمل في فلسطين وما بين ضرورة سرعة البدء في الاستيطان العملي والثقافي هناك[٥٧].من خلال التحايل على القوانين العثمانية من قبل بعض المسؤولين الأتراك ولاسيما رشيد باشا متصرف القدس الذي ضعف أمام رشوة المال الصهيوني فخالف القوانين العثمانية الرسمية وسهل عملية الهجرة اليهودية في فلسطين بإرسال رسالة إلى وزير الداخلية في استانبول يطلب فيه السماح للمهاجرين اليهود الأجانب بتملك الأراضي وتشييد المباني، وعندما جاءه الرد بالرفض كان للرشوة أن تلعب دورها من خلال رشيد باشا وأمثاله، وإنما تنسيق العمل بين المنظمة الصهيونية والقوى الاستعمارية وعلى رأسهم بريطانيا آنذاك والتي أصدرت عام ١٩٠٥م قانون هجرت الأجانب[٥٨]، للحد من الهجرة اليهودية إليها وتشجيعهم للهجرة لفلسطين وتبعتها في ذلك الشأن روسيا التي كان يهودها أكثر يهود العالم هجرة منها سواء لفلسطين خاصة أو لغيرها من الدول عامة[٥٩].ومن ثم فإن الهجرة اليهودية كانت متأرجحة ما بين الزيادة والنقصان ما بين عامي ١٩٠٥ – ١٩٠٧م وذلك سبب التناقض والاختلاف ما بين القوانين الرسمية العثمانية الثابتة والقوانين المحلية لمتصرفي القدس والمتحايلة مقابل الرشوة والعمالة لصالح الهجرة الصهيونية.وجاء حاييم وايزمن ليسد ثغرة الزعامة الصهيونية بعد موت هرتزل، وليبدأ نشاطه الاستعماري بتوطيد علاقاته السياسية مع بريطانيا على مبدأ الصهيونية التركيبية، ومنهجها معتمد على صهينة كبار الساسة غير اليهود، وذلك في محاولة منه للتنسيق الدقيق بين الجهود السياسية والعملية على أرض الواقع والمزج بينهما في بوتقة واحدة[٦٠].وفي سبيل ذلك التقى وايزمن مع بلفور عام ١٩٠٦ في مقاطعة كلايتون شمال مانشستر لجعله صهيونيًا كما قال وايزمن[٦١].وكانت ثمرة هذا اللقاء وما قبله أن قامت بريطانيا عام ١٩٠٦م بمناورات عسكرية في أراضي الدولة العثمانية في محاولة منها لانتزاع العقبة والسيطرة على خليجها من الدولة العثمانية وضمها إلى سيناء المصرية، مع أن هذه الخطوة كنت لجس النبض العثماني إلا إنها فشلت وأدت إلى تدهور العلاقات العثمانية البريطانية لفترة طويلة؛ غير أن أزمة الديون العثمانية كانت تنبأ بتدهور هذه الإمبراطورية سريعًا، وكانت القوى الاستعمارية والصهيونية تترقب ذلك بعين الكتب لاستعمار أراضي وممتلكات العثمانيين، وخاصة في المنطقة العربية وفلسطين بالنسبة لليهود على وجه الخصوص.انعقد المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي بهولندا بزعامة حاييم وايزمن الذي قاد صهيونية سياسية في هذا المؤتمر استطاع فيها أن يقوم بدمج جميع الكتل المختلفة الصهيونية المختلفة في وجهات النظر لكي يتم التنفيذ العملي للاستيطان اليهودي ودعمه عمليًا داخل فلسطين وخارجها، حيث تقرر تأسيس شركة للأراضي الفلسطينية مع ضرورة تقديم قروض ميسرة من قبل البنك الصهيوني من أجل بناء مستعمرات جديدة بالقرب من يافا؛ مع اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب الرسمية الصهيونية[٦٢].ومن ثم فقد تم تمويل عمليات شراء الأراضي من بعض الفلسطينيين مستغلين ضعف بعض الإقطاعيين والإداريين أمام زهوة رشاوى المال اليهودي، ولاسيما آل سرسق وتويني الذين باعوا لليهود قريتي بيت لحم وأم الحمد في جوار الناصرة[٦٣].وجاء دور الاستعمار الثقافي لفلسطين من أجل ربط اليهود هناك بتاريخ ثقافي يهودي محرف في الغالب واحتاج ذلك لتأسيس مدارس لتعليم اللغة العبرية والتي كانت تدرس أيضًا اللغتين العربية والتركية من منطلق من عرف لغة قوم أمن مكرهم" ليس إلا، ومن ثم فإن جمعية الاستيطان اليهودي قررت تغيير برنامجها ليراعي المتطلبات النفسية والبيئية للمستوطنين اليهود الجدد، وذلك في ٢٣ شباط ١٩٠٨م[٦٤].وفي ظل تلك الظروف والأحوال كان العجز المالي للدولة العثمانية يزداد سوءًا، مع دفع الزعيم الصهيوني وولفسون أن يزور الآستانة لتنفيذ سياسة هرتزل السابقة إلا أن الموقف الثابت والقوي للسلطان عبد الحميد الثاني من الهجرة اليهودية لفلسطين جعلت زيارته كزيارات سابقة تمت بالفشل الذريع، ومن ثم فقد عقد مؤتمر كامبل باندمان الاستعماري الدولي ١٩٠٧م بلندن، والذي كانت **أهم نتائجه كالتالي:**

١–تشكيل جبهة استعمارية من الدول الأوروبية (إيطاليا – بلجيكا – فرنسا – انكلترا – إسبانيا – هولندا والبرتغال) وذلك من أجل مواجهة التوسع الاستعماري الألماني.

٢–توطيد الاستعمار في المناطق التي تسيطر عليها الإمبراطوريات المشتركة في المؤتمر، والتوسع فيها؛ لاسيما في قارتي آسيا وأفريقيا.

٣–التركيز على أن الخطر الحقيقي الذي يهدد الدول الاستعمارية يتمثل في المنطقة العربية من الدولة العثمانية ومن ثم وجوب العمل على تفككها وانقسامها وتجزئتها وإنشاء دويلات تابعة للدول الاستعمارية على أن تبقى مختلفة ومتأخرة عن ركب التقدم والحداثة.

٤– إقامة الدولة العازلة إسرائيل في منطقة فاصلة وحيوية فلسطين بحيث يؤدي ذلك إلى فصل جزئي المنطقة العربية شرقها عن غربها في آسيا وأفريقيا؛ على أن تكون هذه الدولة اليهودية راعية المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية، ومانعة لقيام أي وحدة عربية في المستقبل[٦٥].وكان ما يترتب عليه مثل تلك القرارات هو شروع التحالف البريطاني الصهيوني في تنفيذه حرفيًا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكان ذلك سيؤدي بالضرورة إلى حتمية نشوب صراع بين الدول المشاركة في ذلك المؤتمر من ناحية وبين الدولة العثمانية وألمانيا من ناحية

أخرى.ولكن زعماء اليهود كانوا من الذكاء بمكان حين قاموا بالسعي للحصول على التقارب الصهيوني الألماني من أجل الحصول على وعد ألماني كوعد بلفور[٦٦] في النصف الثاني من العقد الثاني من القرن العشرين، ومن ثم فقد بدأ التغلغل الاقتصادي الاستعماري الاستيطاني في فلسطين بجهود ألمانية – صهيونية مشتركة.ورغم الوضع الاقتصادي البالغ الصعوبة للدولة العثمانية فإنها لم تقبل أبدًا قبل ذلك التغلغل الصهيوني الأوروبي بل تصدت له سياسيًا بقوة أما اقتصاديًا فلم تكن قدراتها تسمح فعليًا بذلك، فقد أوعز السلطان عبد الحميد الثاني لمتصرف القدس بضرورة الاهتمام بأهالي فلسطين اقتصاديًا واجتماعيًا زراعيًا وماليًا، وذلك من أجل مواجهة المستثمرين والمرابين اليهود والإقطاع على السواء، بإقامة مشاريع كثيرة إلا إنها كان سياسات متأخرة جدًا، ولم تكن هناك القدرة المالية على تنفيذها ولكن الحق يقال أنه بوجود السلطان عبد الحميد الثاني لم يستطع اليهود الحصول على امتياز رسمي يخول لهم استعمار فلسطين، ولم يستطع اليهود تنفيذ مخططهم إلا بعد قيام ثورة ١٩٠٨–١٩٠٩م، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وتشكيل حكومة موالية للاستعمار الأوروبي – اليهودي.

السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في مقاومة

السياسة الصهيو – أوربية – الاستعمارية في الداخل والخارج ١٩٠٨ – ١٩٠٩م:

١: تدعيم الوحدة الإسلامية وحسن استغلال الزعامة الروحية والسلطة الدينية والسياسية للسلطان عبد الحميد الثاني:

ومن منطلق مبدأ "نصر" مع الوحدة، وهزيمة مع التجزئة أدرك السلطان عبد الحميد الثاني ضرورة توحيد أقطار الأمة الإسلامية وبخاصة العربية منها والتي تقع فلسطين في أهم موقع استراتيجي – روحي فيها، وذلك من اجل التصدي للتدخل الأوروبي المتزايد وبصورة مضطردة في شئون الدولة العثمانية، فسمح ببعض الحريات السياسية المحلية في بعض الأقطار والولايات العثمانية وبخاصة التي كانت تقع منها تحت الاحتلال الأوروبي ولاسيما في مصر وبلاد الشام، ومن المعلوم أن السلطان عبد الحميد الثاني كان قد رفض المشروع اليهودي بإقامة كيان يهودي – صهيوني في فلسطين مستندًا إلى دعم الوحدة الإسلامية الجامعة الإسلامية في شتى أرجاء العالم الإسلامي الذي كان يمثله في الغالب بصفته الزعيم الروحي والديني خليفة المسلمين الوحيد في العالم وقتها[٦٧]. مع إدراكها جيدًا لأهداف مطامع الحركة الصهيونية الاستعمارية في فلسطين والمستندة على القوى الاستعمارية الأوروبية ولاسيما انكلترا وفرنسا، ومن ثم فإن ردود الفعل العربية وبخاصة في فلسطين وبلاد الشام بدأت تتصدى لهذا النشاط الصهيوني في فلسطين، ومن أجل ذلك كان من أهم خطوات السلطان عبد الحميد الثاني هو انتزاع سيناء من الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس حلمي ١٨٩٢ – ١٩١٤ بهدف الحفاظ على سيناء بموقعها الاستراتيجي المتميز بعيدة عن متناول الصهيونية والتي كانت تنوي السيطرة فيها على العريش كخطوة مرحلية أولى للاستيلاء على فلسطين[٦٨].وكان انتزاع سيناء بمثابة حبس نبض لقوات الاحتلال البريطانية وخطوة أولى أن تيسر الأمر بعدها لتحرير مصر نهائيًا من قبض الإنجليز وعودتها أن أمكن للسيادة العثمانية[٦٩]، وذلك ما كان قد حدده جمال الدين الأفغاني تحت راية ولواء الجامعة الإسلامية بأن مصر من الأملاك العثمانية وأنه غير مسموح للخديوي بالتنازل عن أي جزء منها كبيرًا أو صغير[٧٠]، مع ضرورة التزامه بالسياسات والقوانين والفرمانات العثمانية، وعدم النزوع عن الوحدة الإسلامية تحت راية الدولة العثمانية، وكان الأفغاني يحاول أن يسعى لوقف الزحف الأوروبي عامة والبريطاني خاصة عن طريق القوة المنظمة للحكومات الإسلامية من خلال حركة الجامعة الإسلامية التي وجد السلطان العثماني منها ملاذه الأخير للتصدي للنشاط الصهيوني الأوروبي القوي فقد استخدم أيضًا ذكائه لإفشال السياسة الأوروبية لتوحيد كلمة البلقان وثورتها ضد الحكم العثماني، وهو ما جعل جمال الدين الأفغاني يجدد تأييده للسلطان العثماني بمبايعته بالمُلك والخلافة، فاستمر السلطان عبد الحميد الثاني في سياسته المناهضة للدول الأوروبية بذكاء استراتيجي مستندًا لفكرة الوحدة – الجامعة الإسلامية – والمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا، والمسلمون الغرب يهدد بهم فرنسا، والمسلمون الأكراد يهدد بهم روسيا[٧١].وكان السلطان عبد الحميد الثاني يقول: "إننا لا نريد أن نزرع في أرضنا سكانًا لا ينتمون إلى نفس ديننا وعاداتنا حتى لا نمكنهم من السيطرة على الحكم يقصد اليهود ولذلك نقبل أن يكون المهاجرون من نفس الدين والإيمان وواجبنا يحتم علينا تقوية العنصر التركي المسلم، وإلى تشجيع هجرة المسلمين إلى البوسنة والهرسك وبلغاريا والعمل على الاستيطان فيها"[٧٢].

٢: التصدي للنشاط والنفوذ الاستعماري الأوروبي – الصهيوني داخل الدولة العثمانية وخارجها:

حاول السلطان العثماني جاهدًا بكل السبل والوسائل التصدي للاستعمار الأوروبي ورأس حربته الجديدة الهجرة اليهودية لفلسطين" فسن القوانين اللازمة لمنع تلك الهجرة لكنه اصطدم بأمور داخلية وخارجية، حالت دون تنفيذ قوانينه المانعة ودون إعادة إحياء الإمبراطورية العثمانية التاريخية أما عن الأمور الداخلية فتمثلت في الفساد الإداري الذي استشرى في الكثير من رجال السلطة والإدارة سواء المركزية في استانبول أو المحلية في فلسطين وبلاد الشام، وقد استغل اليهود ذلك الفساد برشوة السلطات المحلية العثمانية لتسهيل عمليات الهجرة اليهودية الغير شرعية لفلسطين خاصة

وبلاد الشام عامة، وقد كانت انكلترا وأمريكا تساعدان على إثارة الفتن وخاصة وعلى سبيل المثال إحداث الفتن الأرمينية عام ١٨٩٠م، فلقد أرسلت إليهم انكلترا المؤن والذخائر وشجعتهم على العصيان والتمرد، وكذلك فعلت أمريكا نفس الأمر تقريبًا(٧٣)، بهدف إقامة مملكة أرمينية تكون تابعة لهم ضد الدولة العثمانية ونفس الفكرة الصهيونية في إقامة دولة يهودية في فلسطين كانت مؤيدة من قبل الدول الاستعمارية تحت نفس المبدأ، ومع فشل تنفيذ هذه الفكرة كان الاتجاه نحو تحقيق الفكرة الثانية للدولة اليهودية في فلسطين.كان اليهود تحت الحماية الانكليزية المعلقة في فلسطين منذ عام ١٨٣٨م على اعتبار أنهم رعايا المملكة المتحدة، ومن خلال هؤلاء الرعايا سواء اليهود أو غيرهم رصدت بريطانيا جميع أحوال وتحركات الدولة العثمانية سواء الاقتصادية أو العسكرية إلخ، وتعاونت مع الأقليات في الدولة العثمانية وعلى رأسهم اليهود ذوي النفوذ وتحالفت كذلك مع العملاء الأجانب والمحليين على السواء، حتى بلغ الأمر أن تقلد بعض الأجانب أسماء إسلامية مستعارة ليتغلغلوا إلى مراكز السلطة والنفوذ في الإدارة العثمانية وعملوا على زعزعة وعدم استقرار الحكم العثماني وتحايلوا على القوانين والفرمانات العثمانية المناهضة للهجرة اليهودية(٧٤)؛ بل وصل الأمر قبل ذلك إلى اغتيال السلطان عبد العزيز بعد خلعه عام ١٨٧٦م من قبل أمثال هؤلاء العملاء والمرتشون المتعاونون مع القوى الخاصة وعلى رأسهم المتهم الأول في ذلك مدحت باشا وشيعته.ناهيك عن الامتيازات الأجنبية التي تحولت حماية اليهود في فلسطين باعتبارهم رعايا الدول الاستعمارية صاحبة هذه الامتيازات المجحفة، ناهيك عن الديون البالغة والمستحقة على الدولة العثمانية لدى بنوك أوروبا(٧٥).

٣: ثورة عام ١٩٠٨م ودور التحالف اليهودي – الأوروبي في خلع السلطان عبدالحميد الثاني ١٩٠٩م:

رغم العطف وحسن المعاملة التي لقيها يهود الدونمة في سلانيك من قبل السلطان عبد الحميد الثاني إلا أنهم كانوا بمثابة النواة الأولى التي ارتكزت عليها عملية الإطاحة بحكم ذلك السلطان، متحالفين مع الدول الأوروبية والحركة الصهيونية ومستغلين ثورات الأقليات ومختلف القوميات سواء العرقية منها أو الإقليمية والسياسية داخل أراضي الإمبراطورية العثمانية، هذا مع استمالة كبار الشخصيات في الإدارة المركزية العثمانية المحيطة بالسلطان عبد الحميد الثاني نفسه، فماذا تراه كان يستطيع أن يفعل ذلك السلطان المكافح الذي جاء في الوقت المتأخر من عمر الدولة العثمانية العريقة محاولًا إنقاذها قدر المستطاع لكن كيف وقد تكالبت عليه المشاكل والاضطرابات الكبيرة والخطيرة في الداخل والخارج، **ومنها على سبيل المثال لا الحصر:**

المحافل الماسونية وتحالفها مع الدول الاستعمارية بتمويلها المالي والاقتصادي ودعمها السياسي اللا محدود وخاصة ليهود الدونمة(٧٦)؛ لخلع السلطان عبد الحميد الثاني الذي ذكر في مذاكرته "من أن العمل الوحيد الذي استطاع الماسونيون القيام به في الدولة العثمانية، هو نشر الشقاق والتمرد في البلد وبين صفوف الجيش دون أن يعلموا أنهم يعملون لصالح انكلترا التي تدعي نشر الأفكار المتحررة في إمبراطوريتنا، وأشد ما يؤلمني أن يتعاون هؤلاء الضالون الأتراك مع اليونانيين والبلغار في سبيل إزاحة المستبد(٧٧).ورغم علم السلطان العثماني لخطورة الماسون ومحاربته لها إلا أنها كانت قد استشرت في جسد الدولة العثمانية بل وفي الآستانة نفسها وكذلك أزمير، حتى بلغ عدد المسلمين الأتراك من الماسونيين حوالي عشرة آلاف شخص كان من بينهم كبار قادة الجيش التركي ووزراء في الحكومة العثمانية ومجلس النواب وكبار المسؤولين(٧٨).كان الارتباط الوطيد بين الماسونية والصهيونية واضحًا للعيان منذ مؤتمر بال الأول ١٨٩٧م(٧٩)، ويقال أن الماسونية صنيعة الصهيونية وإحدى وسائلها الفعالة لتحقيق مآربها الاستعمارية ولا سيما في فلسطين. ولذا فقد قرر السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٨٩٨م إغلاق جميع محافلها، إلا أنه لم يستطع إغلاق محفل سلانيك لارتباطه الوثيق مع الدول الأوروبية الاستعمارية انكلترا إيطاليا – فرنسا – النمسا– ألمانيا، لذا فقد ذكر أيضًا بأن حركة الاتحاد والتركي كانت بداية نشأتها في محفل بـ ماكدونيا ريزتورا الماسوني المؤسس من قبل قارصوه اليهودي السلانيكي(٨٠). وتطورت أمور الماسونية واتسع انتشارها بشكل كبير في أوساط النفوذ العثماني؛ حيث أن طلبة من المدرسة العسكرية الطبية الإمبراطورية في استانبول نفسها شكلوا في عام ١٨٨٩م برئاسة الماسوني الألباني إبراهيم تيمو منظمة سرية كان هدفها الأول والرئيسي عزل السلطان عبد الحميد الثاني نفسه(٨١).

أما عن تنظيم الاتحاد والترقي والذي كان بمثابة فرع لحزب تركيا الفتاة فقد دأب على عقد اجتماعاته المناوئة للسلطان في المحافل الماسونية ليتمتع بحمايتها الدولية وليهرب من خلالها من قبضة السلطان الغاشمة في ذلك الشأن، والذي أصدر قراره عام ١٨٩٥م بإنشاء لجنة التفتيش التي قررت تعيين مجلس إدارة ولاية سلانيك زيادة على الموجودين نسبة إلى المرجع الإيجابي(٨٢)إن الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وتوضيحاتها أنها يهودية من البداية حتى النهاية، وفي عام ١٨٨٩م تشكلت منظمة سرية من طلبة المدرسة الطبية العسكرية هدفها عزل السلطان العثماني وباشرت أعمالها بداية في جينيف عام ١٨٩١م ثم انتقلت إلى فرنسا وبثوا أفكارهم السرية داخل الجيش وصدرت لهم مجلة عثمانلي في جينيف لإثارة الرأي العام على السلطان ومن ثم فقد كسبوا المؤيدين الكثيرين في ذلك الشأن، ومن ثم فقد كان الاتحاد والترقي فرع لحزب تركيا الفتاة، وتم عقد اجتماعاتها في المحافل الماسونية بداية من المحفل الإيطالي ثم فتحت السفارات الأجنبية أبوابها

لكل متمرد على السلطان العثماني وكان على رأسهم انكلترا وفرنسا، وتحالف الجميع لإسقاط حكم عبد الحميد الثاني[٨٣].وقد كانت الفترة ١٩٠٢ – ١٩٠٧م قد شهدت انتشارًا كبيرًا لأفكار تركيا الفتاة في الداخل التركي وخارجه وبخاصة الجيش التركي بواسطة القائد مصطفى كمال وقد انضم إليه قواد من الفيلق الخامس، وكان مؤتمر باريس الثاني ١٩٠٧م واضحًا وحاسمًا في مقرراته من حيث وجوب تأسيس أصول المشروطية – تبديل الإدارة الحاضرة من أساسها – إجبار السلطان على ترك العرش[٨٤].وفي عام ١٩٠٨م كان انتشار جمعية الاتحاد والترقي واسعًا؛ وازداد خطورة بعد دخول عدد من كبار اليهود في عضويتها، وخاصة يهود الدونمة المستترين في سلانيك، فقد تقرر أخيرًا تحديد موعد لبدء الثورة يوم ذكرى مقتل السلطان عبد العزيز ثم تم تأجيله من ٥ حزيران إلى ٣ حزيران ١٩٠٨م، وقد لعب اليهود دورًا فعالًا في ثورة ١٩٠٨م: إن أصحاب العقول المحركة لثورة الاتحاد والترقي كانوا يهودًا من الدونمة، وأما المساعدات المالية فإنما كانت تجيئهم عن طريق الدونمة ويهود سلانيك المتمولين[٨٥].

بدأت الثورة بتمرد الجيش الثالث في مقدونيا في ٢٣ حزيران ١٩٠٨م، في سلانيك تحديدًا، فانضم إليها الكثير من المؤيدين مطالبين بإعلان الدستور[٨٦] في بداية الأمر، فوافق السلطان راضخًا لكثرة الضغوطات الداخلية والخارجية وصارخًا رباه عاقب هؤلاء المسؤولين عن هذه النكبة"[٨٧]، ثم تطورت الأمور فأعاد السلطان مجلس المبعوثان بعد إجراء انتخابات في الولايات العثمانية، وبعد إعادة دستور مدحت باشا عقد البرلمان الجديد أولى جلساته يوم الخميس ١٧ ديسمبر/ كانون الاول ١٩٠٨م بحضور السلطان والأمراء العثمانيين فقد قرر السلطان التخلص من كل معاونيه في البرلمان والدستور والاتحاديين حين تحين الفرصة[٨٨]؛ لكن الأوان كان قد فات، وانفرط العقد، وأذن له ولإمبراطوريته العثمانية بالرحيل.

خامسا: دور اليهود في ثورة ١٩٠٨م وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩م:

وبغض النظر عن التفاصيل الدقيقة لأحداث ثورة ١٩٠٨م، إلا أننا سنركز على دور اليهود الفاعل والمؤثر بمساعدة الدول الأوروبية الاستعمارية في إشعال نيران هذه الثورة؛ لتحقيق المآرب التوسعية من خلال نقطة الارتكاز فيما بعد على الحركة الصهيونية ودولتهما المستقبلية في فلسطين. كانت مؤامرات اليهود عميقة وخطيرة قديمة وجديدة وهذه هي عادتهم على مر التاريخ لتحقيق مآربهم في صمت وسرية وحسن تخطيط باستخدام جميع الأساليب الغير مشروعة والمشروعة إلى أن تحين الفرصة للعلنية بصورة فجة ولا إنسانية ولا قانونية.ويبدو أن هناك ارتباط وثيق بين الصهيونية والماسونية واليهودية والدونمة الذين قاموا بالدعاية ضد السلطان لدى الجيش والشعب في تلك الفترة؛ عندما عارض السلطان عبد الحميد الثاني مجيئهم إلى الآستانة، وهناك معلومات مؤكدة بأن تكوين جمعية الاتحاد والترقي غير تركية وغير إسلامية، ويظهر ذلك الأمر واضحًا في بداية تكوينها فلم يظهر بين كوادرها وقادتها في بادئ الأمر عضوًا واحدًا أصل تركي[٨٩]، كما أن اليهوديين نسيم مازلياح ونسيم روسو كانا من أهم العناصر المؤسسة والفعالة في حركة تركيا الفتاة التي كان يسيطر عليها تمويلًا وتخطيطًا اليهود بصورة مضطردة. ولا سيما جماعة البكتاشية[*].

وأعضائها البارزين من دعاة تركيا الفتاة التي كان مركز جمعيتها في سلانيك تحت إدارة اليهود الماسونيين.ومن المؤكد أن قادة هذه المحافل كانوا من اليهود في غالبيتهم مما أثار الشكوك العثمانية، وحتى الاستعمارية الأوروبية من أن الماسونية ما إلا هي حركة أسستها اليهودية العالمية ليس إلا للسيطرة على العالم أجمع[٩٠].وبعد ثورة ١٩٠٨م تم كسر قيود الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتغلغل اليهود في أوساط الحكم العثماني بسهولة، وبخاصة الروس بالمظاهرات في العاصمة العثمانية ذاتها، وتوجهوا بها نحو قصر يلدز مقر الحكم العثماني للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وتمكين الاتحاديين من الحكم بمساعدة يهود الدونمة والمحافل الماسونية المتعددة واتحد الجميع تحت شعار (الحرية – العدالة – المساواة)، وكانت تعاليمهم وخططهم وأهدافهم جميعًا واحدة؛ حتى أنه قد عثر على نقود تركية اتحادية تثبت هذه الحقيقة[٩١].وأضاف السفير البريطاني لوثر مؤكدًا بأن ثورة الاتحاديين ثورة يهودية أكثر منها تركية، كما أكد القنصل البريطاني في القدس بلش أن الصهاينة قد حصلوا على ما لم يحصلوا عليه من السلطان العثماني بعد ثورة ١٩٠٨م، من إلقاء القوانين السابقة المقيدة والمانعة للهجرة والتملك في فلسطين[٩٢]، وأعلنت جمعية الاتحاد والترقي الدستور، وقررت فعلًا خلع السلطان بعد التمكن من الجيش وقياداته وتحريض جنوده على الثورة، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وبغض النظر عن سرية أحداث الثورة وتفاصيلها المتشعبة؛ لنا أن نستخلص منها الدروس والعبرة استخلاصا في تحديد نتائجها ودور السلطان عبد الحميد الثاني ورجاله المخلصين في محاولة **بائسة لإخمادها كالآتي:**

١– كانت هناك ثورة مضادة قامت في ١٣ نيسان ١٩٠٩م ضد جمعية الاتحاد والترقي، وداعميهم من أعضاء اليهود الماسون؛ أسفرت عن بطش وأحداث عنف من قبل الآخرين حيث أعملوا قتل الناس في الشوارع، ونهب القصور، والتعرض لرجال الدين بالسب والاستهزاء والقمع تحديدًا والحبس[٩٣].

٢– مارس اليهود والاتحاديون أبلغ صور استغلال الدين في نفوس المسلمين بضغطه على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين لإصدار فتوى خلع السلطان، وتوجهوا يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان ١٩٠٩م إلى قصر يلدز، فغضب السلطان قائلًا: " ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة– يقصد

قارصوه .. بأي قصد جئت بهذا الرجل أمامي.... إلخ وكانت كلماته كافية للدلالة على دور اليهود في خلعه[٩٤].

٣- كانت الدلالة الرئيسية على دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني هو نفيه وحبسه في٢٧ نيسان ١٩٠٩م في فيلا أحد أصحاب البنوك اليهودي اللاتيني في سلانيك بؤرة اليهود ومركزهم الرئيس، وقد أعلن السلطان أن ذلك كله كان بسبب وقوفه كحجر عثرة ضد بيع فلسطين لليهود.

٤- كانت هناك معارضة للاتحاديين في اللاذقية بسوريا وألبانيا وبعض الولايات العثمانية والعربية إلا أن أحكام الاتحاديين واليهود بمساعدة ودعم الدول الاستعمارية الأوروبية حال دون نجاحها.

٥- تم خلع السلطان العثماني وعين بدلًا منه محمد الخامس، وشكلت بعد ذلك حكومة اتحادية كان وزير ماليتها جاويد بك اليهودي الذي سخر ماليته بالتعاون مع اليهود والدول الأوروبية وأمريكا لخدمة المشاريع الاستيطانية الإسرائيلية في فلسطين[٩٥]، وظهرت صحف تؤيد الهجرة الصهيونية لفلسطين مثل صحيفة الكرمل وغيرها.

٦- ظهور القومية التركية المتعصبة، وظهور القومية العربية كفكرة مضادة لتحديها الكرامة واللغة العربية والدين الإسلامي فلكي يصل اليهود في مركز النفوذ في تركيا الفتاة فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية فرق تسد[٩٦]، وتم عزل كبار المسؤولين العرب خاصة السلطان عبد الحميد الثاني الذاتي، وتوجيه التهم الكاذبة إليهم وعزل الكثير منهم حتى لم يبقى في وزارة الخارجية على سبيل المثال سوى موظف عربي واحد[٩٧].

٧- لم يستطيع أعضاء الاتحاد والترقي إنقاذ الإمبراطورية العثمانية من التفسخ والتفكك والضياع نظرة لقلة خبرتهم، ومن ثم فقد أيدوا الأطماع اليهودية في فلسطين وقاموا بنقل الأتراك الموظفين المعارضين لذلك، ومع استشراء عوامل الرشوة والفساد في الإدارة العثمانية وخاصة في فلسطين فقد زادت الهجرة اليهودية واتسعت مستعمراتها هناك، فمن خلال ثورة ١٩٠٨م وخلع السلطان عبد الحميد الثاني تم تحقيق حلم الدولة اليهودية في فلسطين.

الخاتمة

وهكذا يستخلص البحث كيف تحالفت الدول الاستعمارية الأوروبية مع الصهيونية العالمية لتدعيم وتمويل الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين؛ لغرس كيان استعماري استيطاني صهيوني يضعف الأمة الإسلامية والعربية، ويحقق المآرب الاستعمارية الدولية؛ مستغلين ضعف الدولة العثمانية في شتى المجالات؛ لتحقيق حلمهم المشترك المنشود، والذي ستؤيده بعد ذلك دولة أمريكية بعيدة عن الحدود العثمانية، لكن مصالحها الاستعمارية الحالمة، والنشاط الصهيوني للمنظمات الصهيونية المستشري في عالمها الجديد بقوته الاقتصادية والتنظيمية سيدفعها إلى تأييد نشأة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتبنيه واحتضانه بعد ذلك بصورة جلية بعد غرسه من قبل أوروبا الاستعمارية بخاصة بريطانيا العظمى.

هوامش البحث

(١) يوميات هرتزل: يونيه/حزيران ١٨٩٥م، ترجمة: هيلدا صايغ، ط ٢، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٥٩٣.

(٢) ج. هـ. جانسن: الصهيونية وإسرائيل وآسيا، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث تعريب راشد حميد، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٧٦.

(٣) ج. هـ. جانسن: الصهيونية وإسرائيل وآسيا، المرجع السابق , ص ٧٧.

(٤) يوميات هرتزل: مرجع سابق، ص ٥٨٧.

(5) A, Bein: Theodor Herzl - A Biography, New York, 2002, P. 280.

(٦) أحمد نوري النعيمي: أثر الأقليات اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٧٩.

(٧) جريدة المنار: ٩ أبريل/نيسان ١٨٩٨م، م١، ص ١٠٥.

(8) N. Mandel, A History of Zionism From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel, Knopf Doubleday Publishing Group-2009. P. 90.

(٩) جريدة المقتطف: ١ ابريل/نيسان ١٨٩٨م، م٢، ج ٤، ص ص ٣١٠ – ٣١١.

(١٠) جريدة المنار: المرجع السابق، ص ص ١٠٦ – ١٠٧.

(١١) نهاد محمد سعدي خليل الشيخ: دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦ – ١٩١٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ والحضارة والآثار جامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٣م، ص ١٥٢.

(١٢) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ص ٦٦ – ٦٧.

(١٣) رفيق شاكر النتشة: عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٩٣.

(١٤) غانم أحمد الصائغ: سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية ١٨٣٩– ١٩١٤م، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، مجلد ١٩، العدد (٥)، ٢٠١٢، ص ٥٢.

(١٥) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩١–١٩٠٩م)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٨ ، ص ١٥٥.

(١٦) جورج انطونيوس: يقظة العرب، تعريب: علي حيدر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٣٨م، ص ص ١٤٤ – ١٤٥.

(١٧) أرنست رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح أحمد، مؤسسة فرنكلين، بيروت ١٩٦٠، ص ١٥٤.

(١٨) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣٥م، ص ص ١٤٥ – ١٤٦.

(١٩) فرانك مانويل: بين أمريكا وفلسطين، وزارة الثقافة والاعلام تعريب يوسف حنا عمان ١٩٦٧م ، ص ٣٦.

(٢٠) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ٧٦٠.

(٢١) ج. هـ. جانسن: الصهيونية وإسرائيل وآسيا، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث تعريب راشد حميد، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٧٧.

(٢٢)) حسن صبري الخولي: فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، ج١، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢٣) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٢٤) فرانك مانويل: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢٥) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢٦) يوسف الحاج: هيكل سليمان أو الوطن القومى لليهود، ج ١، دار ،مختارات، بيروت، ١٩٣٤، ص ٩٣.

(٢٧) ج .هـ. جانسن: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢٨) مجلة المشرق: المرجع السابق، ص ١٠٩٣.

(٢٩) حسان حلاق: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٣٠) علي عطية: الصهيونية العالمية وأرض الميعاد، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ١٩٦٣م، ص ١٤٣.

(٣١) زهير غنايم عبد اللطيف: تملك الأرض ومشكلة الديون وأثرهما في التحول في الأراضي في فلسطين العثمانية ١٨٥٨ – ١٩١٧م، عدد ٢٠، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، ٢٠١١م، ص ١٦٩.

(٣٢) صالح بن محمود السعدون: الاتحاد الانجلو يهودي للسيطرة على فلسطين ١٨٨٢ – ١٩٢٢م، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٩٥.

(٣٣) رفيق شاكر النتشة: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣٤) نهاد محمد سعدي خليل الشيخ: دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦ – ١٩١٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ والحضارة والآثار جامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٣م ، ص ١٦٠

(٣٥) أنجلينا الحلو: عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية رسالة ماجيستير غير منشورة، بيروت، ١٩٦٧م ، ص ص ٥٣ – ٥٤.

(٣٦) يوسف الحاج: المرجع السابق، ص٧٧.

(٣٧) جريدة المنار: مرجع سابق، ص٨٣.

(٣٨) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص١٧٢.

(٣٩) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية (١٨٩١–١٩٠٨م)، مؤسسة الرسالة– بيروت –لبنان، ١٩٧٩، ص ١٧.

(٤٠) جواد رفعت أتلخان: الخطر المحيط بالإسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها تعريب وهبي عز الدين، مكتبة الجاحظ، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٢١ – ١٢٣.

(٤١) صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط٣، دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٧.

(٤٢) محمد علي أورخان: السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث تعاصره، ط ٩، ، مكتبة الأنبار، العراق ١٩٨٧ ، ص ٢٦.

(٤٣) محمد علي أورخان: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٤٤) حاييم وايزمان: التجربة والخطأ، تعريب الحسيني الحسيني معدى، دار الخلود للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م ، ص ١٧.

(٤٥) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ١٤٧٣.

(٤٦) سهام نصار: موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من ١٨٩٧ – ١٩١٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٦٥، وانظر أيضا: صالح مسعود بويصير: المرجع السابق، ص ٤٨.

(٤٧) مصطفى حلمي الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١١٥، وكذلك انظر: مصطفى أرمغان: السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٤٨) حاييم وايزمن: المرجع السابق، ص١١.

(٤٩) عمران أبو صبيح: الهجرة اليهودية، حقائق وأرقام، دار الجليل للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩١، ص ١٧.

(٥٠) إلياس سعد: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٩م ، ص ١٧.

(٥١) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ص ٣١٨ – ٣١٩.

(٥٢) ارنست رامزور: المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٥٣) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ١٦٠٢.

(٥٤) صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط٣، دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٧.

(٥٥) يوميات هرتزل: المرجع السابق، ص ٣٥٦ – ٣٥٩.

(٥٦) حسان حلاق: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(٥٧) لوران غاسبار: تاريخ فلسطين تعريب إبراهيم ميخائيل خوري وزارة الدفاع – إدارة الشؤون العامة والترجمة المعنوي، دمشق ١٩٦٩م، ص ٩٩.

(٥٨) نهاد محمد سعدي خليل الشيخ: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٥٩) حسان حلاق: المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٦٠) حسن صبري الخولي: فلسطين بين المؤامرات الصهيونية والاستعمار، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، ١٩٦٨م، ص ٩٢.

(٦١) حاييم وايزمان: المرجع السابق، ص ١٤.

(٦٢) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٤٤.

(٦٣) محمد رفيق ومحمد بهجت: المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٦٤) حسان حلاق: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٦٥) حسين صبري الخولي: فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، ج، ٩ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ١٩٦٨، ص ص ١١٥ – ١١٦.

(٦٦) الحكم دروزه: ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٩.

(٦٧) حسان حلاق: مرجع سابق، ص ٢٦٥ – ٢٦٧، وكذلك: أشرف عبدالرحمن مؤنس: أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: الدولة العثمانية في محكمة التاريخ، ط ٩، مكتبة. الآداب، القاهرة، ٢٠١٨، ص ١٤٩.

(٦٨) حسان حلاق: المرجع السابق، ص ٢٦٥ – ٢٦٧، وكذلك: أشرف عبد الرحمن مؤنس: الدولة العثمانية في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٦٩) ج. م. ن جفريز: فلسطين إليكم الحقيقة، تعريب أحمد خليل الحاج، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٨٣.

(٧٠) جمال الدين الأفغاني – محمد عبده: مجلة العروة الوثقى، ص ٢٢٦.

(٧١) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤م، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٤٣.

(٧٢) السلطان عبد الحميد الثاني: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٧٣) جريدة الأهرام: العدد ١٣٦، ١٥ يوليو/حزيران ، ١٨٩١م، ص ٧.

(٧٤) مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ط ٩، مطبعة الآداب، القاهرة، 1993 م، ص ١١.

(٧٥) سليمان موسى: الحركة العربية، ١٩٠٨ – ١٩٢٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢١.

(76) Mardin, The Cenesis Of Young Ottoman Theught, Britain 2005, PP. 116 - 117.

(٧٧) السلطان عبد الحميد الثاني: المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٧٨) محمد علي الزعبي: حقيقة الماسونية، ط ١، مؤسسة الزعبي للتأليف، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٨١.

(٧٩) محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الخامس عشر، ص١٧٣.

(٨٠) جواد رفعت أتلخان: الخطر المحيط بالإسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها تعريب وهبي عز الدين، مكتبة الجاحظ، بغداد، ١٩٦٥ ، ص ١٥.

(٨١) أرنست رامزور: المرجع السابق، ص ٤٩.

(٨٢) جريدة لبنان: العدد ١٢٥، ١٧ فبراير/ شباط ١٨٩٦، ص ٤ .

(٨٣) مجلة العربي: العدد ١٦٩، ديسمبر ١٩٧٢/ كانون الاول ، ص ١٥٢.

(٨٤) جريدة المنار: ٢٤ ديسمبر/ كانون الاول ١٩٠٨م، م ١١، ج١١، ص ٨٤٩.

(٨٥) ارنست زامروس: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٨٦) جريدة الأسرار: العدد ١، ١٠ أبريل/نيسان ، ١٩٣٨، ص ٦.

(٨٧) مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.، ص ١١٧.

(٨٨) زين زين: نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٦م ، ص ٥٥.

(٨٩) إسماعيل نوري الدوري: محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبدالحميد الثاني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد ١٦، العدد ٣ مارس/ اذار ٢٠٠٩م، ص ١١٥.

(*) **البكتاشية:** هي طريقة صوفية إسلامية تُنسب إلى الحاج بكتاش ولي أحد الأولياء في الأناضول , وانتشرت أساسًا في الأناضول والبلقان، وكان لها تأثير ديني–اجتماعي–سياسي واضح، خصوصًا في الدولة العثمانية ، وقد انتقلت البكتاشية إلى البلقان بعد انتقال الإسلام إليه، وانتشرت في ألبانيا انتشارًا ملحوظًا في. منتصف القرن السادس عشر، ومن اهم مبادئها التصوف الإسلامي والتسامح الديني والبعد الرمزي في العبادات والتركيز على الباطن أكثر من الظاهر والدعوة إلى الأخوة والمساواة والتقليل من التشدد الفقهي , مجالس الذكر عندهم تختلف عن الطرق الصوفية الأخرى , لذلك اعتبرها بعض العلماء طريقة صوفية غير تقليدية، واعتبرها آخرون قريبة من التيارات الباطنية ، وأصبحت البكتاشية فيما بعد حركة سياسية دينية، فانتسبت ودخلت فيها جماعات مسيحية لأنها رأت فيها حركة تمكنها من التقارب بين المسيحية والإسلام ارتبطت الطريقة البكداشية ارتباطًا وثيقًا بـ الإنكشارية وكانت تُعد المرجعية الروحية لهم , بعد القضاء على الإنكشارية سنة ١٨٢٦م، تعرضت الطريقة للقمع وأُغلقت تكاياها.

للمزيد انظر: سهيل:صابان المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٤١

(٩٠) أرنست رامزور: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٩١) روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٤٥.

(٩٢) جاك تني: الأخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين ترجمة هشام عواض، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٠٢.

(٩٣) جواد رفعت أتلخان: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٩٤) جواد رفعت أتلخان: المرجع السابق، ص ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٩٥) العصر الجديد (مجلة): العدد ٣٧، ٨ يوليه ١٩٠٩م، ص ٨.

(٩٦) وليم كاز: اليهود وراء كل جريمة، شرح وتعليق: خير الله الطلفاح، ط ٢، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٥٧.

(٩٧) سليمان موسي: الحركة العربية، ١٩٠٨ – ١٩٢٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢١، ص ص ٢٥ – ٢٦.

قائمة المصادر

١- جواد رفعت أتلخان: الخطر المحيط بالإسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها تعريب وهبي عز الدين، مكتبة الجاحظ، بغداد، ١٩٦٥م.

2- A, Bein: Theodor Herzl - A Biography, New York, 2002

3- Mardin, The Cenesis Of Young Ottoman Theught, Britain 2005.
4- N. Mandel, A History of Zionism From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel, Knopf Doubleday Publishing Group-2009. P. 90.

٥- أرنست رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح أحمد، مؤسسة فرنكلين، بيروت ١٩٦٠.

٦- إسماعيل نوري الدوري: محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبدالحميد الثاني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد ١٦، العدد ٣ مارس/ اذار ٢٠٠٩م.

٧- أشرف عبدالرحمن مؤنس: أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: الدولة العثمانية في محكمة التاريخ، ط ٩، مكتبة. الآداب، القاهرة، ٢٠١٨.

٨- أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.

٩- إلياس سعد: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٩م.

١٠- أنجلينا الحلو: عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية رسالة ماجيستير غير منشورة، بيروت، ١٩٦٧م .

١١- ج. م. ن جفريز: فلسطين إليكم الحقيقة، تعريب أحمد خليل الحاج، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٨٣.

١٢- ج. هـ. جانسن: الصهيونية وإسرائيل وآسيا، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث تعريب راشد حميد، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٧٧.

١٣- جاك تني: الأخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين ترجمة هشام عواض، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٤- جريدة الأسرار: العدد ١، ١٠ أبريل/نيسان ، ١٩٣٨.

١٥- جريدة الأهرام: العدد ١٣٦، ١٥ يوليو/حزيران ، ١٨٩١م، ص ٧.

١٦- جريدة المنار: ٢٤ ديسمبر/ كانون الاول ١٩٠٨م.

١٧- جريدة لبنان: العدد ١٢٥، ١٧ فبراير/ شباط ١٨٩٦.

١٨- جمال الدين الأفغاني – محمد عبده: مجلة العروة الوثقى.

١٩- جواد رفعت أتلخان: الخطر المحيط بالإسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها تعريب وهبي عز الدين، مكتبة الجاحظ، بغداد.

٢٠- جورج انطونيوس: يقظة العرب، تعريب: علي حيدر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٣٨م.

٢١- حاييم وايزمان: التجربة والخطأ، تعريب الحسيني الحسيني معدى، دار الخلود للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م.

٢٢- حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩١-١٩٠٩م)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٨.

٢٣- حسن صبري الخولي: فلسطين بين المؤامرات الصهيونية والاستعمار، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، ١٩٦٨م.

٢٤- رفيق شاكر النتشة: عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٥- روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، ٢٠١٢م.

٢٦- زهير غنايم عبد اللطيف: تملك الأرض ومشكلة الديون وأثرهما في التحول في الأراضي في فلسطين العثمانية ١٨٥٨ – ١٩١٧م، عدد ٢٠، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، ٢٠١١م.

٢٧- زين زين: نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٦.

٢٨- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية (١٨٩١-١٩٠٨م)، مؤسسة الرسالة- بيروت -لبنان، ١٩٧٩.

٢٩- سليمان موسى: الحركة العربية، ١٩٠٨ – ١٩٢٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

٣٠- سهام نصار: موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من ١٨٩٧ – ١٩١٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣١- صالح بن محمود السعدون: الاتحاد الانجلو يهودي للسيطرة على فلسطين ١٨٨٢ – ١٩٢٢م، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م.

٣٢- صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط٣، دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة.

٣٣- العصر الجديد (مجلة): العدد ٣٧، ٨ يوليه ١٩٠٩م.

٣٤- علي عطية: الصهيونية العالمية وأرض الميعاد، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ١٩٦٣م.

٣٥- عمران أبو صبيح: الهجرة اليهودية، حقائق وأرقام، دار الجليل للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩١.
٣٦- غانم أحمد الصائغ: سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية ١٨٣٩- ١٩١٤م، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، مجلد ١٩، العدد (٥)، ٢٠١٢.
٣٧- فرانك مانويل: بين أمريكا وفلسطين، وزارة الثقافة والاعلام تعريب يوسف حنا عمان ١٩٦٧م.
٣٨- لوران غاسبار: تاريخ فلسطين تعريب إبراهيم ميخائيل خوري وزارة الدفاع – إدارة الشؤون العامة والترجمة المعنوي، دمشق ١٩٦٩م.
٣٩- مجلة العربي: العدد ١٦٩، ديسمبر ١٩٧٢/ كانون الاول.
٤٠- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤م، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥.
٤١- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣٥م.
٤٢- محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الخامس عشر.
٤٣- محمد علي الزعبي: حقيقة الماسونية، ط ١، مؤسسة الزعبي للتأليف، بيروت، ١٩٧٤م.
٤٤- محمد علي أورخان: السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث تعاصره، ط ٩، ، مكتبة الأنبار، العراق ١٩٨٧ .
٤٥- مصطفى حلمي الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٤٦- مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ط ٩، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣ م.
٤٧- نهاد محمد سعدي خليل الشيخ: دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦ – ١٩١٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ والحضارة والآثار جامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٣م.
٤٨- وليم كاز: اليهود وراء كل جريمة، شرح وتعليق: خير الله الطلفاح، ط ٢، بيروت، ١٩٨٢م.
٤٩- يوسف الحاج: هيكل سليمان أو الوطن القومى لليهود، ج ١، دار،مختارات، بيروت، ١٩٣٤.
٥٠- يوميات هرتزل: يونيه/حزيران ١٨٩٥م، ترجمة: هيلدا صايغ، ط ٢، بيروت ١٩٧٣م.